

تفسير سُورَةُ اللَّيْلِ

تقدم قوله ﷺ لمعاذ: «فهلا صليت بسبح اسم ربك الأعلى، والشمس وضحاها، والليل إذا يغشى».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ① وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ② وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ③ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ④ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ⑤ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ⑥ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ⑦ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ⑧ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ⑨ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ⑩ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ⑪﴾

أقسم الله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ①﴾ أي إذا غشى الخليفة بظلامه ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ②﴾ أي بضياؤه وإشراقه ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ③﴾ كقوله تعالى: ﴿وَخَلَقْتُمُ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ⑧﴾ [النبا: 8] وقوله: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: 49] ولما كان القسم بهذه الأشياء المتضادة كان المقسم عليه أيضاً متضاداً. ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ④﴾ أي أعمال العباد التي اكتسبوها متضادة، ومتخالفة، فمن فاعل خيراً، ومن فاعل شراً ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ⑤﴾ أي أعطى ما أمر بإخراجه، واتقى الله في أموره ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ⑥﴾ أي بالمجازاة على ذلك، أو بلا إله إلا الله، أو بما أنعم الله عليه ﴿فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ⑦﴾ يعني للخير ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ ⑧﴾ أي بما عنده ﴿وَاسْتَغْنَى ⑨﴾ أي بخل بماله، واستغنى عن ربه عز وجل: ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ⑩﴾ أي بالجزاء في الدار الآخرة ﴿فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ⑪﴾ وما يغني عنه ماله إذا تردد في النار.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ⑫ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ⑬ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ⑭ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ⑮ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ⑯ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ⑰ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ⑱ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ⑲ إِلَّا إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ⑳ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ㉑﴾

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ⑫﴾ أي نبين الحلال والحرام، أو من سلك طريق الهدى وصل إلى الله، وهو كقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل: 9] ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ⑬﴾ أي الجميع ملكنا، وأنا المتصرف فيها ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ⑭﴾ أي توهج. روى البخاري عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل توضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه» ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ⑮﴾ أي لا يدخلها دخولاً يحيط به من جميع جوانبه إلا الأشقى، ثم فسره فقال: ﴿الَّذِي كَذَّبَ ⑯﴾ أي بقلبه ﴿وَتَوَلَّى ⑰﴾ أي عن العمل بجوارحه وأركانه. روى

الإمام أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل النار إلا شقي» وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أمتي تدخل الجنة يوم القيامة إلا من أبى» قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى» ورواه البخاري: ﴿وَسَيَجْزِيهَا آلُفَى﴾ (٧) أي وسيزحزح عن النار التقي النقي الأتقى، ثم فسر بقوله: ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ (٨) أي يصرف ماله في طاعة ربه ليزكي نفسه وماله، وما وهبه الله من دين ودنيا ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ (٩) أي ليس بذله ماله في مكافأة من أسدى إليه معروفًا، فهو يعطي في مقابلة ذلك، وإنما دفعه ذلك ﴿إِنِّيَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْآخِلَى﴾ (١٠) أي طمعًا في أن يحصل رؤيته في الدار الآخرة في روضات الجنات، قال الله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ (١١) أي ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات. وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك، ولا شك أنه داخل فيها، وأولى الأمة بعمومها، فإن لفظها لفظ العموم. وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله دعت خزنة الجنة: يا عبد الله هذا خير» فقال أبو بكر: يا رسول الله، ما على من يدعي منها ضرورة فهل يدعى منها كلها أحد؟ قال: «نعم، وأرجو أن تكون منهم».

تفسير سُورَةُ الضُّحَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالضُّحَى﴾ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣)

روى الإمام أحمد عن جندب يقول: اشتكى النبي ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين فأنت امرأة فقالت: يا محمد، ما أرى شيطانك إلا قد تركك، فأنزل عز وجل: ﴿وَالضُّحَى﴾ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وابن جرير. وهذا قسم منه تعالى بالضحى، وما جعل فيه من الضياء ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ (٢) أي سكن فأظلم وادلهم ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ (٣) أي ما تركك، ﴿وَمَا قَلَى﴾ أي وما أبغضك.

﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَزَاوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَابِلًا فَأَغْنَى (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَهْزَأْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)

﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ (٤) أي وللدار الآخرة خير لك من هذه الدار، ولهذا كان رسول